بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الكافرون مكية

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾.

المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون. روي أنّ رهطًا من قريش قالوا: يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة. فقال: معاذ الله أن أشرك بالله غيره. فقالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك، فنزلت. فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا.

لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾.

﴿لا أعبد﴾ أريدت به العبادة فيما يستقبل لأنّ لا تدخل إلا على مضارع في معنى الاستقبال، كما أن ما لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال، الا ترى أنّ لن تأكيد فيما تنفيه لا. وقال الخليل في لن أنّ أصله لا أنْ. والمعنى: لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم، ولا انتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلهي.

وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾.

﴿ولا انا عابد ما عبدتم﴾ أي: وما كنت قط عابدًا فيما سلف[1] ما عبدتم فيه. يعني: لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية، فكيف ترجى مني في الإسلام.

وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾.

﴿ولا انتم عابدون ما أعبد﴾ أي: وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته.

فإن قُلْتَ: فهلا قيل: ما عبدت، كما قيل: ما عبدتم؟ **قُلْتُ:** لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت.

فإن قُلْتَ: فلم جاء على ما دون من؟ **قُلْتُ:** لأنّ المراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق. وقيل: أن ما مصدرية أي: لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي.

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾.

﴿لكم دينكم ولي دين﴾ لكم شرككم ولي توحيدي. والمعنى أني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة، فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافًا ولا تدعوني إلى الشرك. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الأكبر»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة النصر مدنية

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾.

﴿إذا﴾ منصوب بسبح، وهو لما يستقبل، والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوّة. روي أنها نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع.

فإن قُلْتَ: ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه؟ **قُلْتُ:** النصر الإغاثة والإظهار على العدوّ، ومنه نصر الله الأرض غاثها. والفتح فتح البلاد، والمعنى: نصر رسول الله ﷺ على العرب أو على قريش وفتح مكة. وقيل: جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم. وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان، ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب، وأقام بها خمس عشرة ليلة، ثم خرج إلى هوزان وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. ثم قال: يا أهل مكة ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. فاعتقهم رسول الله ﷺ[3]. وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوةً وكانوا له فيأ فلذلك سمى أهل مكة

---

(1) قال أحمد: هذا الذي قاله خطأ على الأصل والفرع جميعاً، إما على أصله القدري، فإنه وإن كان مقتضاه أنّ النبي ﷺ لم يكن قبل البعث على دين نبي قبله، لاعتقاد القدرية أن ذلك غميزة في منصبه ومنفر من اتباعه، فيستحيل وقوعه للمفسدة، إلا أنهم يعتقدون أنّ الناس كلهم متعبدون بمقتضى العقل بوجوب النظر في آيات الله تعالى وأدلة توحيده ومعرفته، وأن وجوب النظر بالعقل لا بالسمع، فتلك عبادة قبل البعث يلزمهم أن لا يظنوا به ﷺ الإخلال بها، فحينئذ يقتضي أصلهم أنه كان قبل البعث يعبد الله تعالى، فالزمخشري حافظ على الوفاء بأصله في عدم اتباعه لنبي سابق، فأخل بالتفريع على أصله الآخر في وجوب العبادة بالعقل، والحق أنّ النبي ﷺ كان يعبد قبل الوحي ويتحنث = في غار حراء، فإن كان مجيء قوله: أعبد؛ لأنّ الماضي لم يحصل فيه هذه العبادة المرادة في الآية، فيحمل الأمر فيها والله أعلم على مجموع العبادات الخاصة التي لم تعلم إلا بالوحي، لا على مجرّد توحيد الله تعالى ومعرفته، فإنّ ذلك لم يزل ثابتاً له ﷺ قبل البعث، والله أعلم، أو يكون مجيئه مضارعاً لقصد تصوير عبادته في نفس السامع وتمكينها من فهمه، كقوله: ﴿ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾ والأصل: فأصبحت، وإنما عدل عنه للمعنى المذكور وهو وجه حسن فتأمله، والله أعلم.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة الفتح في رمضان (الحديث رقم: 4275).

(3) أخرجه الإمام أحمد في المسند (الحديث رقم: 3/343).